Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları

الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس

خلال القرن التاسع عشر

الدكتور أنيس الأبيض

منشورات
جروس - برس
طرابلس - لبنان

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları (Merkezi
Kütüphanesi
Demirbaş No: 30073
Tasnif No: 956.91
EBY.H

الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس

خلال القرن التاسع عشر

تقديم

« الحياة العلمية في طرابلس » موضوع جدير بالبحث والدراسة، لأهميّة هذه الظاهرة الحضارية التي ارتبطت بتاريخ مدينة طرابلس عبر عصورها الطويلة،

فإذا كانت بعض المدن ارتبطت بها صفات مُمَيِّزَة تشتهر بها عن غيرها، فإنّ طرابلس تفخر بأنّها قد اشتهرت باسم « دار العلم » و « مدينة العلماء »، ففيها كانت أكبر مكتبات الدنيا في القرن الخامس الهجري، حيث احتوت على اكبر قدر من المخطوطات كانت تحتويه أيّة مكتبة كبرى في العالم، ألا وهو ثلاثة ملايين مخطوط، من نتاج الفكر الإنساني، عند الطرابلسيين وغيرهم من المصنّفين في بقاع الأرض، وعلى مختلف مذاهبهم ولغاتهم، ولقد شغُف الطرابلسيّون بنَسْخ أشهر المصنَّفات على اختلاف أنواعها وفنونها، كما أسهموا في تأليف الكتب بمختلف الاتجاهات الفكرية، فأغنوا المكتبة العربية والإسلامية برصيد لا يُنكَر،

وقد استمرّ الانتاج العلمي والفكري متواصلاً رغم أحلك الظروف السياسية التي كانت تمرّ على طرابلس في بعض الحِقَب التاريخية، ويكاد يكون القرن التاسع عشر الميلادي، الذي اختاره الدكتور أنيس الأبيض، ليكون إطاراً زمنياً لبحثه عن الحياة العلمية ومراكز العلم في طرابلس، من بين تلك الحِقَب التي يصعب سبْر غَوْرها، لِما تحتاجه من الباحث من طول أناةٍ ونفَس طويل في تعقُّب التراث الطرابلسيّ، المخطوط منه والمطبوع، في خبايا الزوايا، والرفوف المُهْمَلَة، والعِلِّيّات المَنْسِيَّة، وداخل الصناديق الرطْبة، التي علاها رُكام السنين، وهو قد آلى على نفسه أن يقتحم هذا العُباب بجدّ وتصميم فَطَرَقَ الأبواب، وتردّد على الخزائن، وأجرى المقابلات، وقلّب الدفاتر والكتب والسجّلات والوثائق، وقرأها بتأنٍّ وإنعامٍ، وخرج

بعدها بهذه الحصيلة العلميّة التي جسّدها في دراسته التي حاز عليها درجة الدكتوراه بتقدير « جيّد جدّاً » من جامعة القدّيس يوسف ببيروت،

والدكتور أنيس بدراسته الرصينة هذه، يقدّم خدمةً جليلة للمهتمّين بالوقوف على الحركة العلمية في الفيحاء خلال القرن المنصرم، ويضع اللّبنة الأساس لدراسة الحياة العلمية في القرن العشرين، ويوفّر للكثيرين مؤونة تعقُّب الوفير من مؤلّفات الطرابلسيّين التي بنى عليها دراسته، وعرضها بأسلوب رائق شائق ممتع، مُتحَرِّياً الأمانة العلمية في ما ينقل، والتحليل المنطقي لِما يقرّره من نتائج فكرية وُسِم بها الذهن الطرابلسيّ في القرن الماضي.

ولقد وُفِّق الدكتور الأبيض في العرض لدراسته التي قسّمها إلى ثمانية فصول، ويندرج تحت كلّ فصل عناوين لمباحث عدّة تتيح للقارىء سهولة الوقوف على الموضوع الذي يريد، فقد رتّب كلّا من روافد العلم، والمدارس والكتاتيب، والإرساليات الأجنبية، وحرفة النّسخ، وتأليف الكتب وقيام المكتبات، وصناعة الطباعة بطرابلس، في فصل واحد، ثم راح يتناول الشِّعْر بضروبه المختلفة، ثم النّثر بصِيَغه المتعدِّدة، وغير ذلك من المباحث الدينية، والعلوم الشرعية، والعلوم العقلية، والمعارف العامة بفصول أخرى.

وفي هذه الدراسة الجادّة المعتمدة على كميّة محترمة من المصادر والمراجع مُثْبَتَةً في آخرها، يعرض لنا الدكتور الأبيض التراث الفكري الذي خلَّفته كوكبةٌ من العلماء الأفذاذ الذين أنجبتهم طرابلس، مع عرض أساليبهم الأدبية في صياغة الكلمة والفكرة، أمثال : الشيخ حسين الجسر، والإمام محمد رشيد رضا، والأديب فرح أنطون، والمؤلِّف نوفل نوفل، والمؤرّخ جرجي يني، والصحافي القانوني محمد سامي صادق، ورئيس المجمع العلمي بالشام عبد القادر المغربي، والعالم الشيخ محمود نشّابه، والعلّامة المصنّف الشيخ عبد الغني الرافعي، وبلبل سوريا الشاعر عبد الحميد الرافعي، والمحدّث المُسْنِد أبو المحاسن محمد القاوقجي، والمدرّس الشيخ نجيب الزعبي الكيلاني، والعلّامة المفسّر الشيخ محمد الحسيني، والعالم الأديب الشاعر الشيخ عبد الكريم عويضة، والناسخ الأديب مصطفى بن كرامة، والناسخ عبد اللطيف السلطان، والمدرّس الشيخ عبد القادر الشلبي، ونقيب الأشراف الشيخ عبد

الفتاح الزعبي، والصحافيّ المؤرّخ الأديب حكمت شريف، والشعراء : عبد القادر الأدهمي، وعبد البارودي، وخليل الثمين، ومحمود الشهال، ودرويش عبد الغني التدمري، وابراهيم الأحدب، ومحمد كامل الرافعي، وأنيس نوفل، وعبد القادر الرافعي، ومحمد رشيد الهندي القلموني، ومحمد أمين عزّالدين قاضي طرابلس وأمين فتواها، ومحمد الميقاتي، والياس نوفل، والمؤ المسرحي الأديب ميخائيل ديبو، وغيرهم من عشرات الأعلام.

وفضلاً عن المادّة العلمية التي يقدّمها الدكتور الأبيض في سياق بحثه عن الحياة العلمية، من حركة تعليم وتأليف ونَسْخ وتقريظ، وشعر، ونثر، فهو يقدّم معلومات ثَرَّة عن خزائن الكتب الموجودة حتى الآن في البيوتات الطرابلسية، مع وصف ما تحتويه من مخطوطات نادرة، قد تكون فريدة لا قرين لها في مكتبات أخرى. ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتحقّق غرضين نجح في إبرازهما الباحث الكريم، أوّلهما : وقوفنا على صفحة حضارية مشرقة من تاريخ طرابلس الفكري في القرن التاسع عشر، وثانيهما : تسليط الأضواء على المكتبات الطرابلسيّة الخاصّة، وقيمتها الحضارية والتراثية التي يجب أن يُحافظ عليها، وأن توضع في متناول الباحثين وأهل العلم للإفادة منها، وهذا يتناسب مع توجّهات « رابطة إحياء التراث الفكري في طرابلس والشمال »، التي يُعتبر الدكتور أنيس الأبيض عضواً عاملاً فيها، وهو مميز بذلك،

ولقد أكّد الدكتور الأبيض مصداقيّته في الارتباط بالدفاع عن تراث طرابلس، وأحياه بدراسته الأكاديميّة هذه، وحسناً يفعل، إذ يُصدرها في كتابٍ ليكون مرجعاً صادقاً، لروّاد الفكر، والباحثين، وأهل العلم وطُلابه.

طرابلس الشام
١٨ من ذي القعدة ١٤٠٥ هـ.
٤ من آب (أغسطس) ١٩٨٥ م.

عمر عبد السلام تدمري

المقدمة

تعتبر هذه الدراسة عن الحياة العلمية لمدينة طرابلس خلال القرن التاسع عشر استكمالا للبحث الذي كتبته عنها، ولكن في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى بداية الانتداب الفرنسي.

وغني عن القول ان هذه المحاولة قد أفسحت المجال للوقوف على الجهد الذي قام به ابناء الفيحاء في دفع عجلة الحياة الثقافية والفكرية للمدينة وذلك من خلال الموضوعات التي عالجوها وتنوع الأبحاث التي كتبوها. فطرابلس كغيرها من مدن ساحل الشام شهدت وعبر عصورها المختلفة نشاطا ثقافيا مميزا، كما انها امتازت بايواء واحتضان الحضارة العربية واحتواء الديانات والمذاهب واشتراكها الفعلي في تمثيل الثقافة العالمية وعلى رأسها ثقافة اليونان. فقد ساهمت مع اخواتها من الحواضر العربية في تأدية الرسالة الثقافية التي كان فضلها كبيراً على البلاد الأوروبية في الوقت الذي كانت تلك البلاد تغط في دياجير الظلم والتخلف العلمي والحضاري، حيث نشطت في المدينة خلال العصر الفاطمي الاسلامي وأثناء الاحتلال الأوروبي الصليبي حركة الترجمة من الكتب اللاتينية والفارسية وغيرها الى العربية وبالعكس، كما ان كثرة المدارس وانتشارها في جميع ارجاء المدينة القديمة يدل على النزعة العلمية المتأصلة في نفوس ابنائها، وليس عجبا ان يطلق على المدينة في العصر السابق للحروب الصليبية اسم « دار العلم »، وأن يتطور هذا الاسم بعد تحرير المدينة من الصليبيين الى « مدينة العلماء ».[1] وهذه السمة

(١) عمر تدمري : **تأملات في تاريخ طرابلس ــ مقال نشر في مجلة الانشاء** عدد وثائقي خاص. ص ٧ ــ ٨.